الحرب البيولوجية ضد المصريين ... حقيقة أم خيال ؟!

محمد سعد زغلول سالم

الأربعاء ١٤ يناير ٢٠٠٤

رغم الصعوبات البحثية العديدة التى تستلْزِمُها محاولة التحقُق من صحة أو خطأ إفتراضٍ كهذا الإفتراض الذى يقرُب إلى أنْ يكون خيالاً علمياً مَحْضاً عن أن يكون واقعاً فعلياً مُحتملاً فإنَّ بعضَ الظواهر وربما أيضاً بعضَ القرائن التى تميلُ إلى تأييد صِحة هذا الإفْتراض قد صارت منتشرةً فى رُبوع المجتمع المصرى على إختلاف أحوالِها دونما تفرقةٍ بين ريفٍ وحَضَرْ أو بين جاهلٍ ومتعلم أو بين فقيرٍ وغنى مثلما تصدِمُنا وتُروعنا يومياً نوعياتُ الحوادث التى تحدُث بين المصريين والتى لولا حدوثِها لما كان لعاقلٍ أن يصدقها ولما كانَ لخيالٍ أنْ يتوقع حدوثها. فإذا كانت حوادثُ القتل لأسباب إجرامية أو إنتقامية أو عَرَضية لجنونٍ طارىء يعْترى مرتكبَها أمراً مشاعاً بين جميع المجتمعات البشرية ... فإنَّ حوادثَ قتل الآباء للأبناء وقتل الأبناء للآباء وقتل الأمهات لأبنائهن وبناتهن مِنْ أجلِ الحفاظ على أو إخفاء علاقاتٍ مُحرمة بينهن وبين آخرين وقتلَ الأخوة لبعضهم البعض من أجل سَرِقتهم والإنحِطاط الأخلاقى الموغِل فى الفُحْش والفسوق المُتمثل فى الإنتشار الواسِع لظاهرة الزوج الديوث وظاهرة الزوجة الداعِرَة وزنا المحارم وغيرها من جرائم السلوك الأخلاقى المُنحَرِف والتى شاعَت إلى درجةٍ غير معقولة عَصِية على التفسير أو التبرير وما إلى ذلك أيضاً من جرائم مُروعَة أخرى يصعُب حَصْرُها وغير معهودة بين البشر الأسْوياء وغريبةٍ كُلِّ الغرابَة لظهورها وإنتشارها كإنتشارِ النارِ فى الهشيم فى مجتمع كالمجتمع المصرى فى فترةٍ قصيرة لا تتعَدى بضعةَ عقود .. ظاهرة مخيفة يجب أن يحتل الإهتمام بها أولويةً قُصْوَى قبلَ أى نكبةٍ أخرى فى مصر حتى وإن كانت نكبة الصحة أو نكبة التعليم على ما لهما من ضرورةٍ بالغة فى أية جهود للإصلاح أو النهضة أو التقدم.

وربُّما يكونُ الشيوعُ غير الطبيعى والصادِم هذه النوعيات المخيفة والمُروعة من الجرائم التى صارت مقصورةً بصفةٍ أساسية على المصريين والتى نادراً ما تحدث فى المجتمعات الأخرى ـ بإستثناء نوعياتٍ محدودة من الجرائم الأشدُ هَولاً التى تحدُث فى مجتمعاتٍ بشرية بدائية ولكنها لا تثيرَ مثل هذا الفزع لأنها تمثل طقوساً دينية شاذة أو تراثاً إجتماعيا خاصاً بهذه المجتمعات المنغلقة ـ هو ما أدى إلى التفكير فى إفْتراض أنَّ تغييراً جَسيماً فى التركيب العقلى والنفسى لغالبيةٍ عُظْمَى من الشعب المصرى ربما يكون قد بدأ وحَدَثَ فى العقود الثلاثة أو الأربعة الأخيرة وأدى إلى هذا الظهور المُروع وهذا الإنتشار المُريعْ لهذه النوعيات من الجرائم والأخلاقيات المُنحَرِفَة الشاذة بين غالبيةٍ من المصريين. وإذا كانَ الإنتشارُ الكبير دونما تمييز بين أطيافٍ متباينة من المصريين يُشيرُ إلى إحتمال تعرضهم لعواملٍ كيميائية أو بيولوجية تتسبب فى حُدوثِ هذا التغيُر الغريب المَلْحوظ فى التركيب العقلى والنفسى والسُلوكى لهم فسوف يتبادر إلى الذِهْن إحتمال إنتشار هذه العوامل فى الماء أو الغذاء أو كِلَيْهما معاً والذى يشتركون جميعاً فى تناوله وإستهلاكه. كما يُثيرُ أيضاً فرضية ونظرية المؤامرة على الشعب المصرى بتدميره عقلياً ونفسياً وأخلاقياً فى حَرْبٍ خفية صامِتَة لا تنطلق فيها رصاصة واحدة ولكن يكفى للفوز فيها تلويثُ الماء والغذاء الذى يتناوله وهو غافلٍ عما يحويه ماؤه وغذاؤه من سمومٍ ناقعة تصيبُه بالداء الذى لا دواءَ له عندما تصيبُ عقلَه ونفسَه وأخلاقَه فى مَقْتلٍ لا شِفاءَ منه.

ورغم ردودُ الفِعْل التى تراوَحَت جميعُها بين الإسْتِغراب وعَدَم التصديق من قِبَلْ العديد من أشهر وأبرز العلماء المصريين المتخصصين فى معظم جوانب هذا الإفتراض عندما طُرِحَ علي مسامِعِهم فى سياق نقاش عِلْمى حول جرائِم تلويث وتخريب وتدمير منظومة الزراعة والثروة الحيوانية المصرية التى بدأت مع تولى الدكتور يوسف والى مهامه فى هذا الشأن لتحقيق هذه الأهداف والإضْطِلاع بها فى أوائل تسعينات القَرْن المُنصَرِمْ وحتى الآن الإ أننى مازلتُ مُقتنعاً به وأظنُ أنَّ الحاجة مُلحة إلى ضرورة التحقُق منه سواء بالتأييد أو بالتفْنيد ـ خاصةً بعد مُعايَشَتى شخصياً لأمرٍ مُماثل معَ بعضِ المرضى الذين كادوا أن يكونوا ضحيةً لإجرامٍ طبى تحت مُسَمى البحث العلمى من قِبَلْ جهةٍ علمية لا يُشقُ لها غبار فى هذا المجال فى دولةٍ عُظمى تترأس قائمة الدول المتميزة فى البحوث الطبية فى ثمانينات القرن الماضى ـ حتى يمكننا العَمَلْ على تجنب وتفادى آثارِه المُدمرة والمُستمرة والمُتزايدة على المصريين والتى تقف حَجَرْ عَثْرَةٍ فى وَجْه أىِّ محاولاتٍ للإصلاح فى أىِّ مجالٍ آخَرْ حيثُ أنَّ شعباً من فاقِدى العَقل والرُشْد والأخلاق لنْ يُفيدُه إصلاحٌ للتعليم أو للخدمات الصحية أو أىِّ جهودٍ للإصلاحِ فى أى مجالٍ آخر مالم يكُن مُدركاً لما يجب عليه أن يفعله أو أن يُدْرِكَه أو أن يَعيهْ.

ورغم إستبعاد الكثيرين لفرضية المؤامرة لتفسير ما نحيا فيه فقط لأن مفهوم المؤامرة مرتبط بالسرية والكتمان فإن التآمر فى حالنا هذا هو سياسة معلنة وظاهرة ينتهجها بدوافع دينية فى المقام الأول التحالف الصليبى الصهيونى الشيعى ضد الإسلام والمسلمين والذى إتسع مؤخراً ليشمل محوراً بوذياً وهندوسياً أيضاً مثلما تكشفه الممارسات الإجرامية الوحشية المعلنة للصين وبورما والهند تجاه الإسلام والمسلمين. ويكشف التاريخ الحديث والمعاصر لنكبات الأمة الإسلامية عن إستحالة إستبعاد فرضية المؤامرة ضدها عندما نجد أن جميع الحروب التى وقعت خلال الثلاثين عاماً الأخيرة ـ وحتى العدوان الإجرامى الذى شنه صدام حسين على الكويت بعد إستدراجه بواسطة سفيرة أمريكا حينذاك للقيام بذلك ـ إستهدفت دولاً وشعوباً إسلامية وهو أمرٌ لا يمكن إعتباره محض مصادفات بالنظر إلى السياسات الخفية بل والمعلنة أيضاً للمحور الصليبى الغربى الذى يشمل أمريكا وغالبية الدول الأوروبية والمحور الصهيونى فى إسرائيل وفى أمريكا والمحور الشيعى فى إيران وفى عصاباتها الإجرامية التى تنشرها أينما إستطاعت فى أية دولة إسلامية. كما أننا لا نستطيع أيضاً إستبعاد إحتمالية هذا الإفتراض ونحن نشاهد تصاعد المد العنصرى المقيت تجاه الإسلام والمسلمين فى بلدانٍ أوروبية عديدة بدعوى التصدى للإرهاب الإسلامى الذى تقوم به عصابات إجرامية كالقاعدة وداعش أنشأتها أمريكا وإسرائيل وإيران فى دول إسلامية محورية لتحقيق أغراضها.

إن التحالف الصليبى الصهيونى الشيعى على الإسلام والمسلمين ليس مؤامرة خفية بل هو إتجاه سياسى معلن وظاهر لا يخفونه ونحن جميعاً نعرفه ويكفى أن تستعرض فقط وقائع وأحداث ما تتعرض له الشعوب الإسلامية خلال الأربعين أو الخمسين سنة الماضية من حروب وإعتداءات وحتى عامنا هذا الذى تمنح فيه أمريكا القدس والجولان للكيان الصهيونى بقراراتٍ معلنة لتعرف أن الإستهداف قائم ومعلن منذ قرون ومستمر حتى يومنا هذا. ولذا فلا يمكننا إستبعاد أو تجاهل فرضية لجوء قوى محاور الشر هذه إلى أسلحة الحروب البيولوجية كجانب خفى شديد التدمير يمكنها إستخدامه لتحقيق أهدافها لعل أوضحها ما حدث من إبادة بيولوجية بالمعنى الحرفى لهذا المصطلح لمنطقة (تورا بورا) فى أفغانستان عندما إستخدمت القوات الأمريكية سلاح (الكيمتريل) وهو أحد وسائل الحرب البيئية لتجفيف المنطقة وتحويلها إلى خرابٍ بلقع غير صالحة للحياة. كما أن الإستهداف الجماعى لجماعات أو شعوب بأسرها بإستخدام أسلحة الحرب البيولوجية الخفية المتمثلة فى العقاقير أو الكيماويات أو السموم بطيئة المفعول أو حتى الفيروسات المهندسة وراثياً التى يمكنها العمل كـ (mutagens) عند إضافتها إلى المياه أو الغذاء أو حتى التربة الزراعية هى أهداف إجرامية تمخضت عنها نفوس الشياطين فى دولٍ تمتلك هذه التقنيات وتمتلك النفوذ الذى يمكنها من ذلك فى الدول المستهدفة بهذه الوسائل البيولوجية. ولا يمكن لمتابع لمجريات الحياة الإجتماعية والصحية والنفسية والعقلية للشعب المصرى على مدى العقود الماضية تجاهل هذا الإفتراض رغم غرابته فى أى محاولة لفهم أو كشف أسباب التغيير غير القابل للتفسير أو التعليل بأى أسباب منطقية فى سلوكيات وأخلاقيات المصريين فى خلال فترة بالغة القصر لا تتعدى ثلاثة عقود هى كطرفة عين فى مسيرة حياته الممتدة على مدى بضعة آلاف من السنين.